

بعد كل حرب تظهر إلى العلن حقيقة الدور الذي تمارسه المنظمات الدولية في حماية المدنيين، من أطفال ونساء وشيوخ، يظهر للعلن كم كان دورها مقيدا بقرار ليس ذاتيا وليس حياديا. ظهرت تلك المنظمات في أغلب أزمات الشرق الأوسط مشلولة الحركة عن القيام بما طرحت نفسها على أساسه، حين فشلت إما عن عجز وإما عن ارتهان لقرار أمريكي بتوظيف "قهر المدنيين" لأهداف سياسية، وهذا ما يدفعنا إلى الإيمان بأن عمل تلك المنظمات في بعض أدائه هو سلاح من أسلحة الضغط السياسي على دول تتجرأ على مخالفة سياسة الولايات المتحدة، فإن لم ينفَع تعمل كمعبر لحلول عسكرية محتملة .

كنا نعرف وأصبحنا نؤمن أن عمل تلك المنظمات ليس نزيهاً، فنراها تغض الطرف عن استخدام أساليب التعذيب كجزء من استراتيجية إدارة بوش في مواجهة ما يسمى بالإرهاب، وعن انتهاك بريطانيا وكندا الفاضح لحقوق الإنسان في إرسال المشتبه بهم إلى دول لا رقابة عليها لاستخدام وسائل التعذيب المتعددة، بينما تفتح العين والفم على دول ليس ذنبها إلا أنها لم تدخل الفلك الأمريكي مطيعة، فيأتي عمل تلك المنظمات مع دول كهذه على قاعدة "حق يراد به باطل" .

لقد فقدت تلك المنظمات حتى حق الإدانة لعمليات التصفية المنهجية في العراق وفلسطين، فأين منظمة حقوق الإنسان من آلاف الشهداء الفلسطينيين المدنيين والذين بغالبيتهم من الأطفال؟ أين هي من الشهداء اللبنانيين المدنيين والذين نسبة 40% منهم من الأطفال دون الثامنة من العمر؟ أين هي من المجازر اليومية التي ترتكب في العراق، وأين هي من تسوّق نفسها كفاعلة خير، من العريضة الأمريكية والإسرائيلية؟

كنا نعرف وأصبحنا نؤمن، أن القانون الدولي مع الأقوى "الأقوياء فوق القانون" تشكل مواد لتخدم المصالح العليا للدول الكبرى، ومن هنا نحن أهل المنطقة العربية لسنا أقوياء لأننا عملنا على التقرُّب بكل مصادر القوة الطبيعية التي كنا نتمتع بها، ولأن القرار المصيري في المكان الخطأ، وبالتالي فقدنا كل وزن وقيمة في المجتمع الدولي، فقدنا كل ما نملك من أوراق القوة التي تدفع القوى الغربية للتعامل مع المنطقة العربية، أقله بحرص لئلا تفقد جزءاً من مصالحها، ولكن استطاعت تلك القوى أن تنتزع كل مصلحة لها بطريقتين، إما بالتأمر وإما عن طريق إجدي المنظمات الدولية "منظمة مجلس الأمن مثلاً" التي باتت واضحة أن قرارها بيد الولايات المتحدة، سلمنا وفرطنا بكل أسلحتنا وأصبحنا نواجه الواقع عزلاً حتى من الكرامة .

وبناء على ذلك، لا خيار أمام شعوب المنطقة إلا أن تكون قوية، قوية بالإيمان، بحقها أن تعيش بكرامة وعدم التقرُّب بأقدم وآخر وسائل القوة المتمثلة "بالمقاومة" وأيضاً بإسقاط الأسباب التي جعلت من الشعوب العربية "مسؤولين" على أبواب منظمات دولية قرارها لم ولن يخدم قضاياها.. متسولي الحماية والرأفة .. متسولي تخفيض عدد القتلى الأبرياء، أو فليكن قتل ولكن ليس بقنابل ذكية، فإسقاط الأسباب يعني إسقاط من قاد دول المنطقة للضعف والوهن الذي هي عليه الآن .

أصبحنا نؤمن أننا نعيش في عالم شريعته "شريعة الغاب" فإن لم نصح على مخاطر تلك المرحلة من تاريخ المنطقة العربية، وقتئذ سيُنطبق علينا المثل القائل "سبق السيف العدل" لأن الزمان لا ينتظر أحداً والمتغيرات على الأرض تصبح أكبر من إمكانية معالجتها .

كلمة حق

فاديا جبريل

رئيسة التحرير